فاروق وادي

سقوط زمن الوهم

دراسة في أدب غسان كنفاني الروائي

مدخل

لا تتحقق كونية الفن إلا من خلال خصوصيته. وبقدر التصاق غسان كنفاني بخصوصية التجربة الفلسطينية والتزامه في التعبير عنها، فانه استطاع الانطلاق منها بتلقائية إلى رحابة العالم، ليحقق في ذلك اللقاء والتطابق بين الهم الفلسطيني بتفاصيله والهموم الانسانية بعموميتها؛ حيث يمتلك الجزء قوة التعبير عن كلية أشمل.

«ان فلسطين تمثل العالم برمته في قصصي...»[1]. لقد أراد غسان كنفاني، بهذا القول، أن يحرق المسافة بين الخصوصية والكونية، لكن الاحتراق الفعلي لم يتحقق إلا من خلال التقاط جوهر وتفاصيل رحلة الانسان الفلسطيني وتجربته في شروطها التاريخية المتباينة؛ ففي هذه الحالة وحدها تصبح تجربة الانسان الفلسطيني تجربة فلسطينية وإنسانية في آن واحد. فالكاتب لم يختزل العالم ليحصره في حدود قضيته، بل انه، على العكس من ذلك، يمسك بقضيته وإنسانها ليلامس بها التجربة الانسانية الشاملة.

«ففي وسع الناقد [الادبي] الآن أن يلاحظ بأن قصصي لا تتناول [الفرد] الفلسطيني فحسب؛ بل تتناول حالة إنسانية لانسان يقاسي من المشاكل اياها. ولكن ربما كانت تلك المشاكل اكثر تبلوراً في حياة الفلسطيني»[2].

قد تكون تلك المشاكل، بالفعل، أكثر تبلوراً في حياة الانسان الفلسطيني، وقد لا تكون. لكن الذي يجعلها كذلك، في رؤية الفنان، هو الالتزام بتلك الخصوصية بالانخراط في التجربة حتى العظم والاقتراب من إنسانها ومعانقة همومه حتى الالتحام، بحيث يصبح هذا الانسان بؤرة الرؤيا لهموم ومشاكل الانسانية جمعاء.

«كنت أكتب عن فلسطين كقضية قائمة بحد ذاتها، وعن الاطفال الفلسطينيين، وعن